بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

المؤتمر العلميّ العالميّ الخامس

الوقف الإسلاميّ : التَّحديات واستشراف المستقبل

تحت شعار

الوقف... صدقة جارية ... ونماء.... لا يتوقَّف

الوقف الإسلاميّ في زوايا ومدارس إقليم توات(جنوب الجزائر)ودوره في النّهضة العلميّة للإقليم

من القرن السّادس الهجريّ إلى نهاية القرن الخامس عشر الهجري

إعداد

الدكتور أحمد بن بالقاسم جعفري

عميد كلية الآداب واللغات

الجامعة الأفريقية أحمد دراية أدرار /الجزائر

الزمان : الثّلاثاء والأربعاء 17-18 شوال 1438هـ * 11-12 يوليو 2017م

المكان : قاعة المؤتمرات بوزارة التعليم العالي

السُّودان – الخرطوم

web: www.quran-unv.edu.sd

E-mail: quranun@gmail.com

ملخص المداخلة

يعتبر الإقليم التواتي (جنوب الجزائر) من أكثر الأقاليم الجزائرية حضورا للزوايا القرآنية والمؤسسات الوقفية على مر التاريخ إذ أنه وابتداء من تاريخ القرن السادس الهجري (550هـ) تاريخ تأسيس أول زاوية بوقفها الإسلامي المتميز ، لم ينقطع العمل الخيري التطوعي عن الزوايا والكتاتيب والمدارس التعليمية .حتى بلغ العدد في بعض فتراته أزيد من مائة مدرسة وزاوية علمية وقفية .

ولقد اضطلعت هذه المؤسسات العلمية الوقفية منذ تأسيسها بأدوار علمية بارزة ومتميزة نابعة من صميم أهداف رسالتها التي تأسست ووُقّفَت من أجلها ،ويأتي في طليعة تلك الأدوار والأهداف تمثيلا لا حصرا :

1/ تحفيظ القرآن الكريم والتحفيز عليه : فهي لم تكتف بفتح أبوابها أمام طلبة العلم ، بل إن بعض شيوخ الزوايا والمدارس التعليمية حددوا في وصاياهم الوقفية نصيبا لحفظة القرآن عامة يزيد وينقص بحسب عدد سور القرآن المحفوظة .

2/ تعليم الفقه وسائر العلوم اللغوية والدنيوية .

3/ نشر الإسلام في كثير من بقاع العالم .وتمثل ذلك بما قامت به الزاوية الكنتية خصوصا في غرب إفريقيا .

4/ مكافحة الأمية .وذلك بفتح قاعات خاصة لتعليم الكبار مبادئ القراءة والكتابة . ويكون ذلك في أوقات خاصة وخارج أوقات العمل المعهودة .

5/ المساهمة في نسخ المخطوطات وانتقالها من منطقة إلى أخرى ،حتى غدت المنطقة في ذلك وإلى الآن خزانا حقيقيا للمخطوطات في الجزائر قاطبة بما يزيد عن عشرات الآلاف من المخطوطات.

وانطلاقا من كل هذا وغيره كثير جاء تفكيرنا في مشاركة إخوتنا القائمين على هذا الملتقى الهادف منصبا على تسليط بعض الضوء على هذه المؤسسات الوقفية الخيّرة النيّرة في هذه المنطقة الإسلامية الضّاربة في أعماق التاريخ .

فما هي علاقة إقليم توات بالوقف عامة والوقف العلمي خاصة ؟ وما هي أبرز المؤسسات الوقفية العلمية في ذلك ؟

ما هو واقع الوقف الإسلامي في زوايا ومدارس إقليم توات ماضيا وحاضرا ؟ وما أثر ذلك في النهضة العلمية والأدبية التي عرفها الإقليم في القرون الماضية؟

ما هي أهم الأدوار العلمية التي اضطلعت بها هذه المؤسسات الخيرية عبر تاريخها الطويل ؟ و ما هي أهم المعوقات التي وقفت وتقف إلى الآن في سبيل تحقيق رسالتها . ؟

وأخيرا أين نحن من نظام الوقف حديثا في وقت استغلته الحضارة الغربية أحسن استغلال وأقامت عليه معظم مدارسها وجامعاتها المتخصصة ونجحت في ذلك إلى أبعد حد ؟.

أسئلة قليلة من كثيرة نرغب في إثارتها -مجددا- على رؤوس أشهاد ملتقاكم القيم والهادف ،على أمل الوصول – معا – بإذن الله إلى إجابات كافية ،وتوصيات شافية لما من شأنه أن يسهم في نشر الوعي بثقافة الوقف داخل مجتمعاتنا الإسلامية. وأن يعزز من فرص التعاون والتواصل والشراكة ما بين هذه المؤسسات الوقفية في العالم. أملا في تفعيل دور العمل الخيري الوقفي ، وتعزيز رسالته النبيلة .

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل

نص المداخلة :

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وبعد :

يعد إقليم توات جنوب الجزائر واحدا من الأقاليم الضاربة في أعماق التاريخ ويرجع تاريخ عمارته إلى ما قبل الإسلام(1) حيث كان يسمى بالصحراء القبلية ، ثم كثرت عمارته بعد جفاف نهر قير(2) في غضون القرن الرابع الهجري ولا أدل على ذلك من كثر الحديث عنه في كتب المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم على السواء فهذا ابن خلدون(3) (ت.808هـ) يتحدث عن الإقليم في مقدمة الباب الأول من كتابه العبر واصفا ما كان يتنعم فيه من خيرات الأرض ونعيمها قائلا: " .....وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدارين

1/ ذكر عبد العزيز بن عبد الله في معلمته حول الصحراء (أن أولاد ميمون في مدينة تمنطيط كان عندهم مسجد يحمل محرابه تاريخ 106 هـ ، كما أكد على وجود كتابات تدل على أن قصر أولاد حمال بني قبل الهجرة بمائة وخمسة أعوام 517 م حسب ما وجد مكتوباً على جدران مسجد القصر). الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية . كما ذكر الباحث الفرنسي برنارد (BERNARD) في بحثه عن تاريخ الإقليم أن عمارة الإقليم بدأت قبل 50 سنة قبل الميلاد. التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ) ، مركز البحث العلمي غرداية (د.ت).

2/ هو واد كبير ابتداؤه من ناحية بلاد المغرب ويمتد إلى الصحراء إلى قريب من توات لينعطف يميناً في رمال كثيرة وهو من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة .العياشي . الرحلة العياشية ماء الموائد. تحقيق محمد حاجي . مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط 1397هـ . 1977 م .. ط 2 الجزء الأول ص18 .

3/ ذكرها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون.دار الكتاب اللبناني 1983م بيروت لبنان . . مج 1/ج1 ص 93، مج 6/ج11 ص 120، 123، 133، 206 .مج7/ج13 ص 118، 119

ووركلان. " (1) ثم نراه يتحدث عنه في موضع آخر من الكتاب واصفا قصوره المتعددة بقوله : "....وتسمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المئين آخذة من الغرب إلى الشرق وآخرها من جانب الشرق يسمى تمنطيت وهو بلد مستبحر في العمران وهو ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد ومن بلد مالى إليه "(2) .

وقبل ابن خلدون وبعده نجد أحاديث كثيرة عن هذا الإقليم في كتب الرحالة والمؤرخين العرب والأعاجم كابن حوقل والحسن الوزان والكرخي واليعقوبي وابن بطوطة(3)،وأبي سالم العياشي(4) ، وعبد الرحمن السعدي(5)، والقاضي الفع محمود كعت(6) والرحالة الجزائري الحاج بن الدينالأغواطي (ت.ق13 هـ) (7) إضافة إلى الرحالة الألماني جير هارد رولف (GERHARD ROLF)(8) والمؤرخين الفرنسيين مارثان (MARTIN)(9) وبرنارد سافرو (BERNARD)(10). أما من علماء الإقليم ورحالته المعروفين ، فقد كتب عنه الشيخ مولاي أحمد بن هاشم (ت.ق12هـ) (11)، والشيخ سيدي عبد القادر بن عمر (ت.1121هـ) (12)بالإضافة إلى الشيخ سيدي عبد الرحمن بن باعومر التنلاني (ت.1189 هـ) (13)، والشيخ محمد بن عبد

---

1 / المصدر نفسه مج1/ج1 ص 93.

2 / المصدر السابق مج6/ج11 ص .120

2/ ذكرها في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .. دار صادر بيروت. ص 699 و 700

3/ ذكرها في رحلته ماء الموائد الجزء الأول . ص 20 . وزار الإقليم خلال هذه الرحلة التي دامت قرابة خمسة عشرة عاماً من سنة 1059 إلى 1074 هـ .

4/ ذكرها في كتابه تاريخ السودان . ص07 وما بعدها .

5/ تناول بعض أعلام الإقليم في كتابه المشهور بـ: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تحقيق: (هوداس) و (دلافوس) ، مطبعة بردين ، باريس 1964 . ص15 ،

6/ ذكرها في رحلته التي كتبها سنة 1242 هـ والتي زار من خلالها مناطق داخل الوطن وخارجه ، ومنها إقليم توات وتيميمون وقد ترجمت إلى لغات عدة . ينظر : . أبو القاسم سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هـ الجزائر 1985 . ج2 . ص 401 . ط 2

7/ زار الإقليم سنة 1864 م وتحدث عنها في كتاباته . المصدر السابق . ص 64.

8/ زار الإقليم سنة 1904 م . وكتب عنه في كتابه الشهير (أربعة قرون من تاريخ المغرب 1504 إلى 1902م) المصدر نفسه. ص 45 .

9/ ذكرها في كتابه التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ) ، مركز البحث العلمي غرداية.

1/ تحدث عنها في رحلته التي دونها سنة 1113 هـ .ينظر : مبروك مقدم .المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال القرن التاسع عشر (19 م) و بداية القرن العشرين (20م) ، بتوات وقورارة ، وتديكلت.. ج.أ.د.ت أدرار، الجزائر 1987م.

2/ تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد القادر بن عمر.المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.

3/ تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد الرحمان بن باعومر ، ص01 وما بعدها . المخطوط محفوظ بخزانة باعبد الله أدرار.

بـن عبد الحـق (ت.ق14هـ) (1)، والشيخ مولاي أحمد الإدريسي ألطاهري (ت.ق14هـ) (2)والشيخ (2)والشيخ سيدي أحمد النحوي(3). وغيرهم وغيرهم كثير .

اعتبر الإقليم التواتي على امتداد تاريخه الطويل والزاخر بالأحداث الثقافية أحـد أهـم منـاطق ومراكز الزوايا والمدارس القرآنية الوقفية على مستوى القطر الجزائري عموما ، إذ أنه وابتـداء مـن القرن السادس الهجري تاريخ قدوم الشـيخ مـولاي سـليمان بـن علـي وتأسيسـه لأول زاويـة وقفيـة بالإقليم على الأرجح سنة(581هـ) توالى تأسيس الزوايا والمدارس الوقفيـة في هـذا الإقلـيم تباعـا، ليصل العدد مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري إلى أزيد من سبعين زاويـة ومدرسـة قرآنيـة وقفيـة كبرى ، وبتعداد طلبة ومتمدرسين هو الأول على مستوى القطر الجزائري بما يفوق الستين ألف طالب ، و مئات الشيوخ والأئمة . فكانت بذلك هذه الزوايا الوقفية أحد أهـم وأكـبر خـزان للمخطوطـات وطنيا وإقليميا تقريبا.

لقد شكلت الزوايا والمدارس الوقفية في منطقة توات موطنا ورافدا أساساً مـن روافـد الحيـاة العلمية والثقافية بالمنطقة ، حيث أن جل علماء المنطقة مروا في تعليمهم وتعلمهم بالزوايا والمـدارس الوقفية العامة المنتشرة في كل أقطار الإقليم بما تقدمه من وجبات ثقافية دسمة ومتنوعة أولا ، وبما تـوفره من مأوى ومطعم لروادها ثانيا ،وفي ذلك يقول المؤرخ الشيخ مولاي أحمد الطـاهري المراكشـي واصـفاً المنطقة وزواياها: " ومن عادتهم إكرام الضيف ، والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه ، لأن في كل قصر من قصورها عادات ، فإذا كان القصر فيه زاوية لها أحباس على إطعام الطعـام للأضـياف فـإن المسـافر يقصد دار الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاج إليه هو ومن معه ، فيجد حتى علـف الـدواب... ومـا أكثـر هذه الزوايا في ذلك القطر العزيز المبارك." (4).

هذا من الجانب الاجتماعي أما من الجانب العلمي فإن هذه المؤسسـات الوقفيـة بتخصيصـها لجزء أكبر من أملاكها للجانب التعليمي من جهة، وبتوفرها على كثير من خزائن المخطوطات التي كان العلماء يترددون عليها ليشكلوا حلقة درسهم وتعلمهم من جهة أخرى ،فإن هذه المواطن قـد شـكلت منارة حقيقية ووحيدة في الإقليم لكل العلماء العاملين في هذا المجال خاصة ،وكذا طلبة العلم والمعرفة عامة. وهو الدور الذي كان محل إعجاب العام والخاص من علماء المسلمين المترددين على تلك المواطن حيث يقول الشيخ محمد مرتضى الزبيدي صاحب القاموس المحيط في وصف الشيخ أحمد بن محمد بـن

4/ تحدث عنها في رحلته الشهيرة (درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام) ، ص06 وما بعدها.

5/ تحدث عنها في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، ص12 وما بعدها.

6/ تحدث عنها في كتابه . لذاذ الأقوات في من حضر وعبر بأرض توات . أخبرني بذلك الشيخ الحاج أحمد الكنتي.

4 مخطوط نسيم النفحات، الشيخ مولاي أحمد الطاهري .المخطوط محفوظ بالمدرسة الطاهرية بسالي .

عبد الرحمن أبي نعامة التواتي صاحب الزاوية العلمية المشهورة في توات : "...منازلهم في أقبلي من عمالة توات ، وزاويتهم محترمة ، وقد تولى مشيخة ركب الحج كعادة أبيه وجده ، وكنت قد سمعت به ووصلت إليّ أخباره وكاتبته ،وعقدت معه عقد الأخوة ، ثم ورد علينا حاجا في أثناء سنة 1197هـ فاجتمعت به ، وشاهدت من محاسنه ومكارم أخلاقه ما يفوق عن الوصف ، وقد عقدت معه عقد الأخوة والمحبة ، وسمع مني أشياء ، وكتبت له الإجازة ، ودعا لنا بخير وعاد لبلاده ، ولا تنقطع عني مراسلاته وهداياه بارك الله فيه "(1)

وهذا الموقف نفسه نجده يتكرر مع الشيخ مولاي أحمد الطاهري العالم المغربي المتجول الذي ساقته الأقدار إلى هذه الديار التواتية سنة ألف وثلاثمائة وستة وخمسين هجرية (1356هـ _ 1937م) على الأرجح ، فوجد في قصورها وأوقافها الخيرية ضالته المعرفية والعلمية بما خصصه سكانها من وقف خاص بالعلم والعلماء ، وهو ما مكنه سريعا من تأسيس مدرسة علمية من أوقاف المسلمين ،وظل يشتغل بها حتى وفاته المنية وفي ذلك يقول : " ساقتنا الأقدار إلى تلك الديار دون معرفة سابقة بيننا وبينهم وإنما هي من أحسن المصادفات ،فوجدنا فيهم أحسن الأهل ووجدت بها ضالتي المنشودة فاستقام بها لنا المقام وحسن العيش وأرغده في بذل غاية الجد والاجتهاد في التدريس آناء الليل وأطراف النهار، وتعليم أولاد المسلمين من كل الطبقات " (2).

والزاوية أو المدرسة الوقفية عموما هي اسم " يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني... عرفت في أوائل القرن (08هـ) وكانت تطلق على مكان معد للعبادة ، كالمسجد ، ويشتمل على المرافق للطلبة المجاورين بها ، وإيوائها للواردين عليها وعابر السبيل ، وقيل أنها عرفت في المغرب بعد القرن (05هـ)، وسميت في بادئ أمرها دار الكرامة ثم دار الضيافة"(3)، أما عند أهل توات فإن مصطلح الزاوية أو المدرسة الوقفية يشار بها إلى تلك الصدقات الجارية التي يحبّسها الشخص في حياته لتبقى بعد وفاته صدقة جارية ، وهذا من خلال نص موثق ومحدد ، يحبس فيه جملة من الأملاك الخاصة ، وقد يكون لها مكان وموقع خاص، ويشرف عليها الشخص المؤسس ذاته في حياته ،وبعد وفاته يتعاقب عليها (مقدَّمين) على التوالي . وتنقسم هذه المؤسسات الوقفية عند أهل توات إلى ثلاثة أنواع : زاويا الضيافة ، زوايا العلم ، زوايا الضيافة والعلم معاً.

---

1 / "مرتضى الزبيدي .مخطوط معجم المشايخ ص 18 .وينظر أيضا : محمد مرتضى الزبيدي .المعجم المختص . تحقيق محمد عدنان البخيت وآخرون .مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية . المملكة العربية السعودية .ط 1 /1431هـ/ج 1/ ص 79

2 مخطوط نسيم النفحات..

3 محمد نسيب .زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر الجزائر. ص30 ...

ومن أهم الزوايا والمدارس الوقفية التي احتضنت وزكت الحركة العلمية والأدبية بالإقليم التواتي باكرا ، نذكر(1) :

الرقم	اسم الموطن	مكان التواجد	اسم المؤسس	تاريخ التأسيس
01	زاوية بني حماد	قصر زاقلو توات	بنو حماد	القرن السادس الهجري (550هـ)
02	زاوية مولاي سليمان بن علي	قصر أولاد وشن توات	مولاي سليمان بن علي	القرن السادس الهجري جماد (581هـ)
03	زاوية محمد الطالب بن سليمان	قصر آدغا توات	قصبة محمد الطيب بآدغا	القرن الثامن الهجري (780هـ)
04	زاوية سيد الحاج لحسن الشريف	قصر قنتور قورارة	الحاج لحسن الشريف	القرن الثامن الهجري
05	مدرسة تمنطيط	قصر تمنطيط	سيد البكري	القرن التاسع الهجري
06	زاوية سيدي موسى والمسعود	قصر تسفاوت قورارة	سيدي موسى والمسعود	القرن التاسع الهجري
07	مدرسة بوحامد	قصر بوحامد توات	أبو حامد الجعفري	القرن التاسع الهجري
08	زاوية مراقن	قصر مراقن توات	سيدي محمد السالم	القرن التاسع الهجري (879هـ)
09	مدرسة(زاوية) الشيخ المغيلي	قصر بوعلي توات	الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي	القرن التاسع الهجري
10	زاوية سيدي اعمر	تينكرام شروين	سيدي أحمد الغريب	القرن (التاسع الهجري)
11	زاوية ميمون	قصر ميمون توات	الإدريسيون القادمون من تلمسان	القرن العاشر الهجري (916هـ)
12	زاوية الشيخ عمر	قصر أقسطن قورارة	سيدي محمد بن عمر	القرن العاشر الهجري
13	زاوية الحاج بالقاسم	زاوية سيد الحاج بالقاسم	سيد الحاج بالقاسم	القرن العاشر الهجري
14	زاوية سيدي باسيدي	قصر فاتيس قورارة	سيدي محمد بن عبد الله	القرن العاشر الهجري
15	زاوية الدباغ	قصر ز/الدباغ قورارة	سيدي محمد الدباغ	القرن العاشر الهجري

1 ينظر : جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بأدرار. دليل ولاية أدرار ..الجزائر .ماي 2000 .

16	زاوية الحاج بو أمحمد	قصـــر تبلكـــوزة قورارة	سيد الحاج بو أمحمد	القرن العاشر الهجري
17	زاوية سيدي عباد	قصر أولاد عيسى قورارة	سيدي عباد	القرن العاشر الهجري
18	زاوية الواجدة	قصـــر الواجـــدة قورارة	سيدي إبراهيم	القرن العاشر الهجري
19	زاوية بوشامية	بلغازي دلدول	سيدي بوشامية	القرن (العاشرالهـجري)
20	زاوية ودغاغ	قصـــر ودغـــاغ قورارة	سيدي محمد بن أبي بكر الودغاغي	القرن العاشر الهجري
21	زاوية مولاي هيبة	بلدية تمقطن	سيدي أبو الأنوار مولاي هيبة	القرن (العاشرـ)
22	زاوية سيدي عومر	قصر زاوية سيدي عومر قورارة	سيدي عومر بن أحمد بن الصالح	القـرن الحـادى عشـر الهجـري (1008 هـ)
23	زاوية كنته	قصر زاويـة كنتـه توات	عبـد القـادر بـن عمـر الكنتي	القـرن الحـادى عشـر الهجـري (1012هـ)
24	زاوية بادريان	قصر بادريان	الحاج محمد الصوفي	(1033هـ)وقيل (1004هـ)
25	زاوية سيدي أمحمـد بـن أحمد	أومـــــراد أولاد سعيد	سيدي أمحمد بن احمد	(1085هـ)

26	زاوية تنلان	قصر تنلان توات	سيدي أحمد بن يوسف	القرن الحادى عشر الهجـري (1058 هـ)
27	زاوية الهبلة	قصر الهبلة توات	سيدي علي بن بوبكر	القرن الحادى عشر الهجـري (1070 هـ)
28	زاوية سيدي أمحمـد بـن أحمد	قصر أومراد قورارة	سيدي أمحمد بن أحمد	القرن الحادى عشر الهجـري (1085 هـ)
29	مدرسة انزجمير	قصر انزجمير	علماء انزجمير	القرن الحادى عشر الهجري
30	زاوية سـيدي علـي بـن حنيني	قصر زاجلو توات	سيدي علي بن حنيني	القرن الحادى عشر الهجري
31	زاويـة مـولاي عبـد الله الرقاني	قصر زاوية الرقاني توات	مولاي عبد الله الرقاني	القرن الحادى عشر الهجري
32	زاوية سيدي عبد الرحمن بن محمد	قصر اغزر قورارة	عبد الرحمن بن محمـد بـن علي	القرن الحادى عشر الهجري
33	زاوية سيدي زايد	قصـــر تـــبرغمين قورارة	سيدي زايد	القرن الحادى عشر الهجري
34	زاوية عين حمو	قصـــر عـــين حمـــو قورارة	سيد الحاج بولغيت	القرن الحادى عشر الهجري
35	مدرسة المطارفة	قصـــر المطارفـــة قورارة	الحاج محمد الصالح	القرن الحادى عشر الهجري

36	مدرسة كوسام	قصر كوسام	البلباليون	القرن الحادى عشر الهجري
37	زاوية بودة	قصر بودة توات	الشيخ محمد بن عمر	القرن الثانى عشر الهجري (1100هـ)
38	زاوية الجديد	قصر الجديد توات	سيد المختار الكنتي	القرن الثانى عشر الهجري (1112 هـ)
39	زاوية سيدي عبد القادر	قصر زاوع. القادر توات	سيدي عبد القادر بن عومر	القرن الثانى عشر الهجري (1113 هـ)
40	زاوية مهدية	قصر مهدية توات	سيدي عمر المهداوي	(1119 هـ)وقيل(1207هـ)
41	زاوية سيد البكري	قصر زاوية سيد البكري توات	سيد البكري بن عبد الكريم	القرن الثانى عشر الهجري (1120 هـ) وقيل (1109هـ)
42	زاوية شيخ الركب النبوي	قصر أقبلي تيدكلت	سيدي محمد بن عبد الرحمن	القرن الثانى عشر الهجري (1137 هـ)
43	زاوية تسفاوت	قصر تسفاوت توات	الحاج محمد لجبري	القرن الثانى عشر الهجري (1146 هـ)
44	زاوية بودة	قصر بودة توات	الجعفري الملقب (صاحب7حجات	القرن الثانى عشر الهجري (1161 هـ)
45	زاوية سيدي احمادو	قصر زاجلو توات	سيدي احمادو	القرن الثانى عشر الهجري
46	زاوية سيدي أحمد بن سيدي باحمو	قصر زاجلو توات	أحمد بن سيدي باحمو	القرن الثانى عشر الهجري
47	المدرسة الطاهرية	قصر سالي	الشيخ مولاي أحمد الإدريسي	القرن الرابع عشرالهجري
48	مدرسة الشيخ بلكبير	أدرار	الشيخ سيدي محمد بلكبير	القرن الرابع عشر الهجري
49	مدرسة تاسفاوت	قصر تاسفاوت	الشيخ سيدي لحبيب	القرن الرابع عشر الهجري
50	مدرسة الشيخ باي	أولف	الشيخ باي بالعالم	القرن الرابع عشرالهجري

وهذه الزوايا والمدارس الوقفية جميعا ساهمت كثيراً في توفير المأوى والمطعم وكل ما يحتاجه الزوار إلى هذه الديار ، كما كانت أيضا مقرات خاصة يتردد عليها الطلبة والعلماء ليشكلوا حلقة درسهم وتعلمهم ، وهو ما يمكن اعتباره جميعاً موطناً أساساً من مواطن الدرس العلمي بالمنطقة .

وإذا أخذنا على سبيل التمثيل لا الحصر الزاوية البكرية (1) لمؤسسها الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن أحمد التمنطيطي (1133هـ) (1) ، نموذجاً في نشاطها العلمي وما وقّفه الشيخ

1 جاء في بعض التقاييد المخطوطة أن هذه الزاوية تأسست سنة (1120 هـ) وقيل (1109هـ) ، أسسها الشيخ البكري خاتمة لمجموع زواياه داخل وخارج الوطن.

المؤسس لها من خيرات وأوقاف عامة وخاصة ، ومدى انعكاس كل ذلك على واقع الحركة العلمية بالإقليم عامة ، نجد أن هذه المؤسسة الوقفية قد كانت ولا تزال إلى الآن قبلة العديد من طلبة العلم من داخل الجزائر وخارجها ، وأنها استطاعت ومنذ تأسيسها في القرن الحادي عشر الهجري أن تحافظ على دورها الريادي في العناية بالعلم والعلماء . وكانت في ذلك محط أنظار علماء الجزائر والعالم الإسلامي قاطبة ، يفدون إليها ويستقبلون وفودها ،كما حصل لمؤسس الزاوية الشيخ سيدي البكري مع الشيخ سيدي سعيد بن إبراهيم قدوره الجزائري(1076هـ) حين زاره في زاويته بالجزائر العاصمة حيث استقبله الشيخ سيدي سعيد ببيتين من الشعر جاء فيهما (2):

لو تعلم الدار من قد جاءها فرحت واستبشرت ثم باست موضع القدم

وأنشأت بلسان الحال قائلة أهلا وسهلا بأهل الجود والكرم

ونجد الأمر نفسه قد تكرر لشيخ الزاوية مع الشيخ أبي عبد الله محمد الخرشي ,مفتي الديار المالكية في ذلك الوقت ، وهو واقع يعكس بصدق مكانة الشيخ سيدي البكري ،وما وصلت إليه زاويته العلمية بين الحواضر الإسلامية آنذاك.

ولم تقف أوقاف الشيخ العلمية عند حدود تأسيس زاويته المشهورة بتمنطيط ، بل تعدته إلى خارج حدود أرض الجزائر حيث استطاع الشيخ أن يوقّف حبسا علميا آخر له بتونس أثناء رحلته إلى الحج ، وكذلك فعل في طرابلس الغرب وفي بلاد الزاب وغيرها.

ولعل هذا الدور العلمي الريادي هو ما جعل علماء توات في تلك الفترة يتحسرون كثيرا على فقد المؤسس بعد وفاته ،وراحوا يعددون لنا بعضا من تلك الأدوار العلمية التي كانت تؤديها زاوية الشيخ البكري ممثلة في شخص شيخها ومؤسسها حيث يقول الشيخ الإداوعلي(ق الثانى عشر هـ) في ذلك تمثيلا :(3)

1هو الشيخ سيدي البكري(1133هـ) بن عبد الكريم بن أحمد ولد في يوم 12 من رمضان 1042هـ توفي عنه والده الشيخ سيدي عبد الكريم في أربعينية ميلاده بأربعين في نفس السنة , فتكفل به عمه سيدي الحاج أحمد القاضي بن عبد الكريم بن أحمد ، وعنه أخذ مبادئ علومه الأولى في الفقه والنحو وغير ذلك كانت للشيخ البكري في آخر حياته رحلة إلى البقاع المقدسة حيث مر بتونس وهناك أسس زاوية مشهورة باسمه إلى الآن ,ثم اتجه نحو طرابلس الغرب, ثم قصد مصر, فقابل فيها العديد من العلماء,و المشايخ من بينهم : الشيخ أبي عبد الله محمد الخرشي ,مفتي الديار المالكية في ذالك الوقت , ومن هناك توجه إلى الحجاز . وفي أثناء عودته إلى الجزائر مر بأرض الزاب أسس بها زاوية أخرى ,ثم قصد أخيرا أرض تقرت التي بقي بها قرابة بها قرابة الثلاثين (30سنة) .تولى قضاء الجماعة بتوات سنة(1092هـ). وفي زوال يوم الأحد الثاني من شهر ذي القعدة سنة(1133هـ) انتقلت الروح الزكية إلى بارئها. ينظر : أحمد جعفري .الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7هـ إلى القرن 13هـ .منشورات الحضارة .الجزائر 2009مط1 الجزء الأول ص38 وما بعدها

2/الشيخ البكري .مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .خزانة تمنطيط .ص 53 وما بعدها .

3/ ينظر :الشيخ البكري .مخطوط درة الأقلام خزانة تمنطيط .ص 100 ، ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص73 وما

آه على توات حل الوبـال بهـا ۞ وصارت من بعد نور العلم في الظلم
بموت عالمها الحبر الـذي انتشرت ۞ عـــلومه بأرض العرب والعجـم

أين الفنون التي كانت مقـــررة ۞ أين التفاسيـر أين النحو في الكلـم
أين الحديث وأين الفقه يا أملـي ۞ أين البديـــع وأين منطق البكم
أين البيان وتوحيد يميـــزه ۞ بـــعد الإمام البكري درة العلم
من للمسائل بعد الشكل يا أسـفي ۞ من للمنـــابر بعد الحاذق الفهـم
من للدفاتر بل من للمـدارس بل ۞ من للنوازل بـــل في اللوح والقلـم
أكرم به سـيدا شمس الورى قمرا ۞ بين العباد ونـــور يذهب الـظلم
قد كان فينا دليل الحق ينصـره ۞ ويحمل الكل حـــقا واصل الرحم

وفي الموضوع نفسه نرى عالما آخر من علماء القرن الثاني عشـر الهجـري يتحـدث عـن هـذه الزاوية وعن دورها الريادي في الدفع بالحركة العلمية داخل الإقليم حيث يقول الشيخ سيدي علي بن حنيني(1115هـ) الذي كانت تجمعه روابط خاصة بهذه الزاوية ، واستفاد من علومها كثيرا: (1) :

الحمد لله العظيـم الأحـد ۞ الواجد الحي العزيز الصـمد
ثم الصلاة والسـلام أبـدا ۞ على النبي العربـي أحمـد
واله وصحبـه الأخـــيـار ۞ من المهاجرين والـأنصـار
********** **********

يا ربنا انزل بهذي الزاويـة ۞ ستـرا ولطـفا ودوام العافية
زاوية بكـــــــرية قديمـة ۞ عـــلوية شـــريفـة كريمـة

وعن نفس الدور نجد شاعراً آخر من شعراء الإقليم يتمثله في زاويـة وقفيـة أخـرى مـن زوايـا الإقليم حيث نجد الشيخ سيدي أحمد العالم في القرن الثاني عشر الهجري ينظم قصيدة وهو في ديـار الغربة في أرض المغرب الأقصى ، يسترجع فيها أيامه الخوالي الـتي جمعتـه مـع أحبتـه ورفقـاء دربـه في مجالس العلم بزوايا إقليم توات وبخاصة في مقر زاويتهم بزا قلوا (2) حيث يقول الشيخ (3) :

ولمـا تغـربنا وقـل مسـاعـد ۞ ونفسي لشـدة الفـــراق تراود

بعدها و.عبد الجميد بكري . النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 9هـ إلى القرن 14هـ..ط1 دار الهدى الجزائر.. 2005. ص 135 وما بعدها

1ينظر :الشيخ البكري مخطوط درة الأقلام ص52 . وعبد الحميد بكري . النبذة .ص 145.

2/ أخبرني الشيخ الحاج أحمد الشيخ بأنزجمير بأن الزاوية المقصودة هنا هي زاوية الشيخ سيدي علي بن حنيني بن أبي بكر .

3/ ينظر مخطوط القصيدة . في مكتبة الحاج محمد الشيخ قصر أنزجمير أدرار.

تذكرت إخـــوانا لـــنا ومعارفا ۞ ومـــا قد مضى من عهدنا متباعد
ونحن بغـرب حـول شيخ المعـارف ۞ وقد ضاق صدري طالما أنا جاحد
وكـان به جسمـي وقلبي ببـــلدة ۞ مع الأهل والإخوان ظل يناشـــد
في زاويـة بكريـة علويـــــة ۞ لـنا بتوات جاهـها متزايـــد
فسلـم على سكانـها من أقـارب ۞ وغيرَهم عمم فإنـك راشـــد
وأسأل ربـي أن يَمُنّ عليـهـــم ۞ ويجمع شملنا بهـم فنعاضـــد
هنـاك رجـال صالحون أحبـــة ۞ وحُق لي أبكهـم فإنيّ فاقـــد
رجـال كرام خالفوا النفس والهوى ۞ ونالوا بفضل الله ما نـال عابـد
ألا أيـها المشتاق فاصغ لذكرهـــم ۞ هُديت لحب الصالحين الأماجـد

و أهمية هذه القصيدة كما ترى أولا لا تكمن في عدَ كل تلك الأسماء من رواد العلم والمعرفة الذين عمّت بهم زوايا توات في تلك الفترة ، بل إن هذا النص أيضا جاء ليعطينا صورة حية وصادقة لواقع الحركة العلمية في الزوايا والمؤسسات الوقفية بإقليم توات خلال القرن الثاني عشر الهجري وما شهدته من حراك ثقافي منقطع النظير .

وإلى هذا كله كانت الزوايا والمدارس الوقفية بتوات محطة أساس ورافدا مهما من روافد الرحلة العلمية بالإقليم .بما وفرته من زاد معرفي وعلمي لزائريها من الرحالة، إضافة إلى المأوى والمطعم وحسن الاستقبال ، وهو ما جعل العديد من الرحالة يثنون عليها في رحلاتهم ،ويدونون مقراتها بوصفها محطات أساسية في كتاباتهم ، كما هو حال الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني (1189هـ) الذي يقول في مخطوط رحلته في طلب العلم ، والتي انطلق فيها من مقر زاويتهم بتنلان [1] بعد صلاة جمعة يوم العاشر من شهر جمادي الثانية سنة (1188هـ) حيث يقول :

" فخرجنا من بلادنا بعد صلاة الجمعة العاشر من جماد الأخير ونزلنا مدينة تمنطيط *،اصفرار يومنا وأقمنا بها يوم السبت ، وأسرينا منها وقلنا زاوية الجديد *ثم أسرينا منها وقلْنا زاوية الرقاد *وبتنا بها ثم رحلنا منها لقرية بوعلي* وزرنا بها قبر الولي الصالح العلامة سيدي محمد بن عبد

1 من قصور توات .أسس به الشيخ سيدي أحمد بن يوسف زاوية علمية كبيرة سنة 1078هـ

/ * تمنطيط كانت عاصمة الإقليم قديما . وهي تقع جنوب الولاية أدرار بنحو عشر كيلومترات تقريبا وبها فرع مشهور من الزاوية البكرية .

/ *تعود لمؤسسها الشيخ سيدي المختار بن سيدي محمد بن عومر. و تقع على بعد خمسة وأربعين كم تقريبا من مقر الولاية أدرر .وهي تابعة إداريا لبلدية تامست.

/ *المقصود هي الزاوية الكنتية التي تعود في تأسيسها إلى الشيخ سيدي أحمد بن محمد المعروف بالرقاد. وهي على بعد خمسة وسبعين كم تقريبا جنوبا من مقر الولاية أدرار.

الكريم المغيلي ، وبتنا بها وقلنا ، ثم رحلنا منها ظهر يوم الأربعاء متوجهين لبلاد تدكلت، وبتنا دونها يومين ، وقلنا يوم الجمعة قرية تمقطن ، ثم رحلنا منها لزاوية سيدي أبي الأنوار ، وأقمنا بها ثلاثة أيام ، ثم رحلنا منها لأولف الأشراف وبتنا به ، ثم لزاوية تقرافت ، وبتنا بها، ثم أسرينا منها سحرا متوجهين لبلاد دبدر فنزلنا بأولاد موسى وأضافنا بها سيدي علي بن سيدي أحمد ، ثم رحلنا لزاوية أبي نعامة نفعنا الله به وزرناه ، وهو الذي أحيا سنة الحج من بلاد توات والتكرور ، فأقمنا بها أربعة أيام ..." (1) وعلى طول خط الرحلة ، وفي كل محطة من محطاتها كما رأينا كان يتردد اسم زاوية أو مدرسة وقفية مشهورة بالإقليم .

و من المؤسسات الوقفية التي انتشر صيتها بإقليم توات وكان لوقفها الدور البارز في النهضة العلمية ومساعدة العلم والعلماء بإقليم توات أيضا الزاوية الكنتية بجميع فروعها وخاصة فرع الزاوية الرقادية منها حيث كانت هذه الزاوية على غرار الزاوية البكرية في قصر تمنطيط والبلبالية في قصر كوسام(2) والجعفرية في قصر بودة(3)والرقانية في رقان (4)، والزجلاوية في زاجلو (5)، والصوفية في بادريان (6) وغيرها من الزوايا والمدارس العلمية الوقفية الكثيرة نبراسا علميا استنار به الكثير من سكان الإقليم على امتداد قرون عديدة. وفي هذا المجال برع الكنتيون وكان لهم الأثر البارز وتشهد لهم به – وإلى اليوم –عديد الزوايا التي تحمل اسمهم في زاوية كنتة(7) والجديد (8)وقصر أقبلي(9) وغيرها من القصور ، بالإضافة إلى خزائن المخطوطات المليئة بآلاف المخطوطات والكتب العامة والخاصة. هذا دون أن ننسى دور هذه الزاوية الرئيس في انتشار القادرية في إفريقيا " حيث كان علي الكنتي قطبا للطريقة القادرية وعندما انتقلت قبائل كنته في القرن الخامس عشر الميلادي إلى واحة

/*من قصور بلدية زاوية كنتة يعود في تأسيسه إلى أبي علي البرمكي . كان موطنا للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي في نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر .وهو مدفون بجوار هذا القصر .

1/ ينظر مخطوط الرحلة .خزانة قصر باعبد الله أدرار

2/ من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات .يقع حاليا بالقرب من مقر المدينة أدرار عاصمة الإقليم بنحو 05 كلومترات غربا .

3/ من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات .يقع حاليا بالقرب من مقر المدينة أدرار عاصمة الإقليم بنحو 20 كلومترات غربا .

4/ من قصور توات به زاوية وخزانة للمخطوطات .يقع جنوب الولاية أدرار بنحو 150 كلومترات .

5/ من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات .يقع جنوب الولاية أدرار عاصمة الإقليم بنحو 75 كلومتر .

6/ من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات .يقع شمال الولاية أدرار عاصمة الإقليم بنحو 210 كلومترات تقريبا .

7/ من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات .يقع حاليا جنوب الولاية أدرار عاصمة الإقليم بنحو 80 كلومتر تقريبا .

8/ من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات .يقع حاليا جنوب الولاية أدرار عاصمة الإقليم بنحو 50 كلومتر تقريبا .

9/ من قصور توات به زاوية وخزانة كبيرة للمخطوطات .يقع حاليا جنوب الولاية أدرار عاصمة الإقليم بنحو 300 كلومتر تقريبا .

توات حملوا معهم القادرية وفي هذه الواحة تطورت الطريقة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر "[1] ،ومن هذه الطريقة أخذ الكنتيون طريقتهم الخاصة في الأوراد والمعروفة بالطريقة البكائية التي تنتسب إلى الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي ، فصارت الطريقة في أصلها فرع من القادرية المنسوبة إلى الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني(471هـ 561هـ/ 1079م 1166م) .

ومن الأدلة التاريخية الشاهدة على أهمية الزاوية الكنتية ودورها العلمي البارز بما وفرته من وسائل مادية ومعنوية في سبيل العلم والعلماء ،هذه الرسالة التي خُطّت في أواسط جمادي الثانية عام(1095هـ) وهي متبادلة بين عالمين من خريجي الزاوية الكنتية فرقت بينهما الأيام بعد أن جمعتهم مجالس العلم في تلك الزاوية في أيام لا تنسى. حيث يقول الشيخ سيدي مولاي علي بن الزين بن سيدي حمو بلحاج وهو بأرض تفلالت بالمغرب (القرن الثانى عشرهـ) (2)مخاطبا ابن عمه مولاي علي بن مولاي أحمد (القرن الثانى عشرهـ) بقصر زاوية كنتة." ... أخي لقد عاشرتكم في مجالس العلم وبلوت أحوالكم ، وعلومكم وأسراركم ، وقضيت معكم مراهقتي وشبابي وكهولتي ، وعلمت من علمكم وحلمكم وصبركم .....سيدي لقد ورد علينا مكتوبكم الذي راقت من سواد النقش سطوره ، واستنارت بين السطور طروسه، وأرانا من خط أناملكم معجزاته.فبهرت آياته ، وأطربتنا بتغريد الطيور همزاته فعوزنا بالسبع المثاني بنانا أجادت نثر زهراته على صفحاته . ولقد ذكرتنا رسالتكم بما كنا نتلقاه في أيام الدراسة مجالس السادات النقاد معادن الفصاحة والبلاغة في المعتاد ، المتقدمين من مشائخ بني الرقاد وما جبلوا عليه وظهر عليهم آثاره من النفحات الربانية والأساليب الفصيحة الأدبية ، والتعابير البلاغية مع الأحوال السنية . فلا وربك ما هي إلا نفحة من نفحاتهم ورمية من كنانتهم ، وقد هززنا بكتابنا إليكم جزع أدبكم كي يتساقط علينا رطبا جنيا .....فجاد وأروى وأجاد فيما روى ، وأحيا من قرائحنا ميتا كاد أن يكون حديثا يروى ، وطرسا بين أنامل الأيام ينشر ويطوى .أحيا الله قلوبنا وقلوبكم بمعرفته و نوامس رحمته ." (3)

و إذا انتقلنا إلى المضمون العلمي في هذه الزوايا والمؤسسات الوقفية عامة وما انفردت به وجباتها العلمية المقدمة لمريديها ، نجد أنها قد تميزت بمنهجها المستقل في التدريس والذي يتخذ من الفارق العمري بين أفراد المجتمع من جهة وبين مضمون المدونات المرجعية من جهة أخرى مجالا أوحد للتفرقة بين المتعلمين.فالطلبة هنا يتلقون دروسهم ووجباتهم العلمية بحسب كل صنف من الرواد

---

1 أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية . مكتبة مدبولي. ص .37

2/ ينظر : محمد بن المصطفى بن اعمر الرقادي .مخطوط حول حياة العالم مولاي عبد الله الرقاني (1207هـ) للشيخ (ق13هـ) خزانة قصر كوسام أدرار .

3 ينظر مخطوط الرسالة ..

،فنجد أولا صنف المبتدئين ،ثم صنف المتوسطين ، ثم صنف الخاصة .حيث يبدأ الشيوخ والمعلمون بهذه المؤسسات دروسهم مع طلبتهم في الصنف الأول بقراءة وتحفيظ القرآن ثم التدرج إلى شرح ابن عاشر، ورسالة بن أبي زيد القيرواني في الفقه ، وإلى الآجرومية والملحة الحريرية في النحو.أما بالنسبة للمتوسطين من الطلبة فكانوا يقفون معهم في الفقه مثلا على لامية الزقاق ومع الرسالة بتعمق .أما بالنسبة للخاصة والمتفوقين فكان الوقوف معهم في النحو مثلا عند مغني اللبيب لابن هشام وغيرها من الكتب الخاصة والمتخصصة . وقد تخرج من هذه الزوايا والمدارس الوقفية على امتداد فترة اشتغالها منذ القرن السادس الهجري وإلى وقتنا الحاضر آلاف الطلبة والأئمة من الحاملين لكتاب الله والمتفقهين في علومه (1). ولقد اضطلعت في ذلك و منذ تأسيسها بأدوار علمية بارزة ومتميزة نابعة من صميم أهداف رسالتها التي تأسست ووُقِّفَت من أجلها ،ويأتي في طليعة تلك الأدوار والأهداف تمثيلا لا حصرا :

أولا : تحفيظ القرآن الكريم والتحفيز عليه : فهي لم تكتف بفتح أبوابها أمام طلبة العلم ، بل إن بعض شيوخ الزوايا والمدارس التعليمية حددوا في وصاياهم الوقفية نصيبا لحفظة القرآن عامة يزيد وينقص بحسب عدد سور القرآن المحفوظة . وهي المبادرة التي جعلت من طلبة العلم في هذا الإقليم يتنافسون صبية على حفظ كتاب الله ، ويتخصصون شيوخا في تفسير آياته ، والتأليف في علومه. ونمثل هنا بالشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني التواتي (1189هـ) خريج زاوية تنلان الذي ألف مخطوطا شرح فيه كتاب الحلبي المسمى بالدر المصون في علم الكتاب المكنون والكتاب مخطوط في ما يزيد عن أربعمائة صفحة (2). كما نجد للشيخ سيدي محمد بن العالم الزجلاوي (1212هـ) خريج زاوية زاجلوا مخطوطا في غريب القرآن(3). . أو كالذي فعله الشيخ المختار الكبير الكنتي الذي ألف كتابا في هذا الباب سماه : فقه الأعيان في حقائق القرآن ويضاف إلى ذلك عشرات المخطوطات في هذا الباب .

2/ تعليم الفقه وسائر العلوم اللغوية والدنيوية .

وما بعدها ينظر: الشيخ مولاي التهامي .سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات .المطبعة الحديثة للفنون ص65 1

2/ المخطوط محفوظ بزاوية تنلان وعليه نسخ عدة .وقد قام طالب في جامعة الجزائر مؤخرا بتحقيق جزء منه . وقد ذكر المرحوم الشيخ باي بالعالم أن الأستاذ أبو عبد التواب عبد المجيد بن علي رياش من المملكة العربية السعودية يعمل حاليا على تحقيق هذا المخطوط ودراسته .ينظر محمد باي بالعالم .الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني .دار هومة الجزائر 2004.ص 81

3/ المخطوط محفوظ بزاوية زاجلو وعليه نسخ عدة .وقد قام الأستاذ عبد القادر بقادر من الجامعة الإفريقية بأدرار بتحقيقه في إطار رسالة الماجستير دفعة 2008 .

ولقد اعتمدوا في الفقه أساسا على جملة من مصادر التشريع المالكي(1) المعروفة والمتداولة في أقاليمنا المغاربية على الأشل، وقد فاقت الثلاثين مصدرا من مصادر التشريع الإسلامي نذكر من ذلك تمثيلا لا حصرا : كتاب الموطأ للإمام مالك ،و الواضحة لأبي مروان الأندلسي (ت 238) ، ومدونة الإمام سحنون (ت240هـ) ، وكتاب ابن المواز الإسكندراني (ت269هـ)، والرسالة لأبي زيد القيرواني (ت 386هـ) ، وكتاب الإعلام بنوازل الأحكام للإمام ابن سهل (ت486هـ)، ونوازل ابن رشد (ت 520هـ) ، وكتاب النهاية والتمام في معرفة الوثائق والأحكام للقاضي أبي الحسن علي بن عبد الله الفاسي ، وكتاب مجالس المكناسي أو مجالس القضاة والحكام وغيرها من أمهات المصادر التشريعية.

وفي علوم الحديث نجد الإعتماد كليا على كتاب صحيح البخاري ، وموطأ الإمام مالك ، والبيقونية ، وكذا ألفية السيوطي في الحديث وغيرها .أما في علوم اللغة فنجد الإعتماد ظاهرا على ألفية ابن مالك، والأجرومية ، وكتاب قطر الندى وبل الصدى ، وكذا لامية الأفعال ، ومثلث قطرب ،وكتاب شذور الذهب في معرفة كلام العرب وغيرها من الكتب المتخصصة.

وفي هذا الباب أيضا لم يكتف سكان الإقليم بالاعتماد على ما وفرته هذه المؤسسات العلمية من مصادر ومراجع للتدريس بل تعدوه إلى التأليف والإبداع في هذا المجال ، وخلفوا في ذلك عشرات المخطوطات الفقهية واللغوية التي تعج بها وإلى الآن هذه المؤسسات الوقفية نذكر من ذلك تمثيلا لا حصرا :غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل .جمع مشترك بين سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن ،وابنه سيدي عبد العزيز وسيدي محمد العالم البكري بن سيدي محمد الجزولي . المحفوظ بخزانة تمنطيط أدرار. نوازل الشيخ الزجلاوي المحفوظ بخزانة زاوية زاجلو . ولاية أدرار./نوازل الشيخ الجنتوري المحفوظ بخزانة قصر كوسام . ولاية أدرار وغيرها من كتب الفقه .

وفي علوم اللغة نجد مخطوط غاية الأمل في إعراب الجمل للشيخ البكري المحفوظ بخزانة المدرسة البكرية بتمنطيط .ومخطوط نيل المراد شرح لامية ابن المجراد للمزمري (1160هـ) المحفوظ بخزانة الزاوية البكرية ، وكما نجد العديد من المخطوطات في العروض والبلاغة والصرف وغير ذلك.

وفي مجال التاريخ والتراجم والأنساب كانت الزوايا والمدارس الوقفية شاهدة أيضا على حركة تأليفية خصبة في هذا المجال حيث نذكر من ذلك تمثيلا لا حصرا : مخطوط (القول البسيط في أخبار تمنطيط) لصاحبه محمد الطيب بن عبد الرحيم المشهور باسم (ابن بابا حيدة) المحفوظ بالخزانة

---

1 ينظر: أ محمد الدباغ وآخرون. غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل . وحدة بحث الجامعة الإفريقية أدرار /الجزائر

ص 13 وما بعدها .

البكرية بتمنطيط .و مخطوط "تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني": العالم عبد الرحمن بن عمر التنلاني . المحفوظ بخزانة زاوية تنلان . ولاية أدرار. ومخطوط " جوهرة المعاني في تعريف علماء الألف الثاني ": لمحمد بن عبد الكريم البكري . المحفوظ بالخزانة البكرية تمنطيط . ومخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ": للعالم سيدي محمد بن عبد الكريم البكري. وكذا مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية ، لمؤلفه الشيخ الحاج محمد العالم . وهما مخطوطان محفوظان بخزانة الزاوية البكرية بتمنطيط أدرار . كما نجد أيضا مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات : لصاحبه محمد بن عمر بن محمد الجعفري .خريج الزاوية الجعفرية ببودة بتوات ، وهو مخطوط لا يزال محفوظا بهذه الزاوية ومخطوط نسيم النفحات في ذكر أخبار توات للشيخ مولاي أحمد الإدريسي مؤسس المدرسة الطاهرية الوقفية الشهيرة بتوات. وهو مخطوط محفوظ بخزانة هذه الزاوية .

ومن مخطوطات السير والتراجم التي خطت في هذه الزوايا وبأقلام التواتيين أيضا نذكر مخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية لصاحبه الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر بن عمر التنلاني . وهو مخطوط محفوظ بخزانة زاوية كوسام . بتوات .يضاف إلى ذلك أيضا مخطوط لذاذ الأقوات في من حل أو رحل من أرض توات لصاحبه الشيخ الحاج أحمد النحوي البوحامدي .خريج المدرسة الطاهرية الوقفية بسالي .

وهذه النماذج المذكورة جميعها هي غيض من فيض ونقطة من بحر هائل في هذا المجال ويكفي أن نشير هنا إلى أنه و قبل عملية النهب والضياع التي تعرض لها المخطوط في هذه الديار ، والتي بدأت قبل القرن 17 الميلادي كان يوجد بزوايا الإقليم ومدارسه الوقفية أزيد من سبعة وعشرين ألف مخطوط ، وهي موزعة على أزيد من سبعين زاوية ومدرسة علمية وقفية خاصة ، وقد فهرس منها حتى الآن قرابة الألفي مخطوط .وقام مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدولة الإمارات العربية المتحدة بتصوير جزء كبير منها على مراحل .

ويضاف إلى كل هذا العدد ما هو محفوظ خارج الجزائر في خزائن ومراكز مالي وموريتانيا والمغرب وغانا والسنغال والنيجر ونيجيريا وغير ذلك من الدول الإفريقية والإسلامية التي تأثرت بنهضة الإقليم ، حيث يذكر السعدي في كتابه تاريخ السودان " أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يشكل التواتيون من بينهم نسبة تقارب النصف "(1). كما يذكر القاضي محمود كعت صاحب "الفتاش" أن كل جامعات الغرب الإفريقي

1 / ينظر : تاريخ السودان .تحقيق هوداس .مطبعة بردين .1898م .

ومساجده كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات." (1)

ثالثا : نشر الإسلام والذود عنه في كثير من بقاع العالم :

ونمثل في ذلك بما قامت به الزاوية الكنتية خصوصا في غرب إفريقيا .حيث لم يكتف علماء هذه الزاوية بنشر تعاليم الإسلام داخل أدغال القارة السمراء فحسب ، بل وقفوا أيضا سدا منيعا ضد كل المحاولات التغريبية من قبل الاستعمار ،ولا أدل على ذلك من شهادة الفرنسيين أنفسهم في الأمر ، حيث نجد الباحث والجنرال العسكري الفرنسي "بول مارتي" يعترف صراحة بدور الزاوية الكنتية خصيصا في مواجهة الإستدمار الفرنسي في بلاد الجزائر وما جاورها من البلدان الإفريقية فيقول : " وقد كانت الضرورة تقتضي إنشاء مركز عسكري في آدرار ايفوغاسن..... وفضلا عن ذلك فإن إدارة كنته ذاتها وتحقيق الارتباط مع بلاد الجزائر قد فرض إنشاء هذا المركز المذكور وقد قام المقدم "بتريكس" بذلك في دجنبر (ديسمبر) 1908." (2). ويقول هذا القائد الفرنسي في حق الشيخ زين العابدين ابن سيدي محمد الكنتي الذي ولد في ضواحي تمبكتو سنة 1848م وترعرع في الزاوية الكنتية بمنطقة توات ، وعايش الدخول الفرنسي للإقليم تحديدا مع مطلع القرن العشرين . وكان من ألد خصوم فرنسا الإستدمارية . يقول بول مارتي عن هذا الشيخ :" وأصبحنا نحن الفرنسيين نعتبره في عداد أشد أعدائنا الألداء " (3) ويضيف في وصفه أيضا " والذي ظل خلال أكثر من عشرين عاما يسبب لنا المتاعب وينهب الأفخاذ الخاضعة بغزواته التي لا تهدأ " (4) ثم يردف شهادتَه تلك بشهادة أحد القادة الفرنسيين آنذاك العقيد "كلوب" الذي يلخص موقف فرنسا من الرجل فيقول : " الموت وحده الذي ينقذنا من عابدين " (5).

ولقد استمرت مقاومة الرجل للاحتلال الفرنسي أزيد من خمسة وعشرين سنة (1890 إلى سنة 1916) وتنقل خلال هذه المدة بين مناطق الجزائر ومالي وموريتانيا وأخيرا المغرب الذي سقط فيه شهيدا .إبان الحرب العالمية الأخيرة . (6) .وغير هذا الرجل كان لكثير من علماء الزاوية الكنتية الدورُ نفسُه في المنطقة .وقد غصت كتب التاريخ وغيرها بمثل هذا وغيره . وقد كان الداعم الأساس

---

1 / ينظر : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .ص.15 .تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين .باريس1964 .

2 بول مارتي .كنتة الشرقيون ..تعريب محمد محمود ولد ودادي .مطبعة زيد بن ثابت دمشق .سوريا .ص 161

3/ المرجع نفسه

4/ المرجع نفسه

5/ المرجع نفسه

6/ المرجع نفسه ومحاضرة الأستاذ عقباوي لمين بعنوان : دور الكنتية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا ..

لكل تلك العمليات الدعوية والجهادية هو ما وفرته الزاوية الكنتية من أوقاف وأحباس خيرية خاصة وعامة .

رابعا : مكافحة الأمية :

وذلك بفتح قاعات خاصة لتعليم الكبار مبادئ القراءة والكتابة . ويكون ذلك في أوقات خاصة وخارج أوقات العمل المعهودة ، وقد استفاد من العملية عدد هائل من سكان الإقليم على مر التاريخ .

خامسا : الإسهام في نسخ المخطوطات :

حتى غدت المنطقة في ذلك وإلى الآن خزانا حقيقيا للمخطوطات في الجزائر قاطبة بما يزيد عن سبعة وعشرين ألف مخطوط -كما ذكرنا -. ذلك أن المخطوط بصفة عامة وجد في هذه المؤسسات الوقفية من زوايا ومدارس خاصة نعم المأوى والمستقر، فيها حُررت معظم مضامينه الفكرية حبرا على الورق ، وفيها أيضا أعيد نسخه وتدريسه أحيانا مرات ومرات ، وفيها أيضا استقر ووُطّن مئات السنين هربا من الضياع والنسيان . وبهذا كله استطاعت هذه المؤسسة الخيرية ومنذ تأسيسها أن تكون أهم رافد في نهر الحياة الثقافية والاجتماعية للإقليم بالإضافة إلى وقوفها الصامد والمتميز طيلة هذه الفترة باعتباره أمان في وجه كل الحملات التخريبية والتغريبية ضد مقومات الأمة وعناصر هويتها .

هذا باختصار عن أهم الأدوار الأساس التي ساهمت من خلالها هذه المؤسسات الوقفية في احتضان وبعث الحركة العلمية في الإقليم على امتداد أكثر من تسعة قرون (09 ق) بما وفرته من غطاء مادي ومعنوي طيلة هذه المدة ، وهو الغراس الذي أثمر ويثمر إلى الآن ، مما أعطى للإقليم بعده التاريخي والحضاري بين كبريات العواصم الثقافية قديما وحديثا . وما عشرات الأعلام البارزين الذين تخرجوا من هذه المؤسسات الوقفية ، وما خلفوه لنا من تراث مخطوط ، وما مئات الطلبة والأئمة من حاملي كتاب الله والمتفقهين في علومه الذين عجّت وتعجّ بهم هذه المؤسسات إلى الآن ، والذين تجاوز عددهم في آخر إحصاء رسمي لوزارة الشؤون الدينية بالجزائر عدد الستين ألف دارس (60000ألف) كما ذكرنا إلا خير شاهد على ما فعلته وتفعله هذه المؤسسات الوقفية إلى الآن .

لكن مع كل هذا يظل التحدي قائما مع هذه المؤسسات الوقفية ، بل نراه يزداد حدة مع مرور الزمن ومتغيرات العصر وهو ما أصبح يحتم على هذه المؤسسات الوقفية إعادة النظر في كثير من برامجها وأنشطتها وكذا في طرق تفعيل واستثمار أوقافها تماشيا مع ما يتلاءم وظروف العصر ، إضافة إلى التفكير في استغلال أمثل لأوقاف هذه المؤسسات العينية من عقارات وأراضي زراعية وأشجار ونخيل وحيوانات ومحلات تجارية وغيرها. بما ينمي من ثروات تلك المؤسسات ويحافظ على بقائها .كما أن على الجهات الرسمية التعاطي مع هذه المؤسسات من باب حمايتها واستثمارها بما يساعد في الدفع بالحركة العلمية والاقتصادية والاجتماعية داخل الوطن ومن ثم اعتماد هذه المؤسسات بإعتبارها

شريكاً رسمياً وفاعلاً مكملاً لمؤسسات الدولة لا منافيا ومنافسا لها . والله مـن وراء القصـد والهـادي إلى سواء السبيل .

المطلاحطلق

01/ نص وثيقة وقف زاوية تنلان لمؤسّسها الشيخ أحمد بن يوسف التنلاني (1058هـ)

02/ ملخص وثيقة وقف زاوية بادريطان لمؤسسها الشيخ سليدي الحاج محمد المطوفي (1004هـ)

03/ صور لبعض رفوف المخطوطات داخل الزوايا والمدارس الوقفيّة بإقليم توات

نص وثيقة وقف زاوية تنلان لمؤسسها الشيخ سيدي أحمد بن يوسف التنلاني (1058هـ)

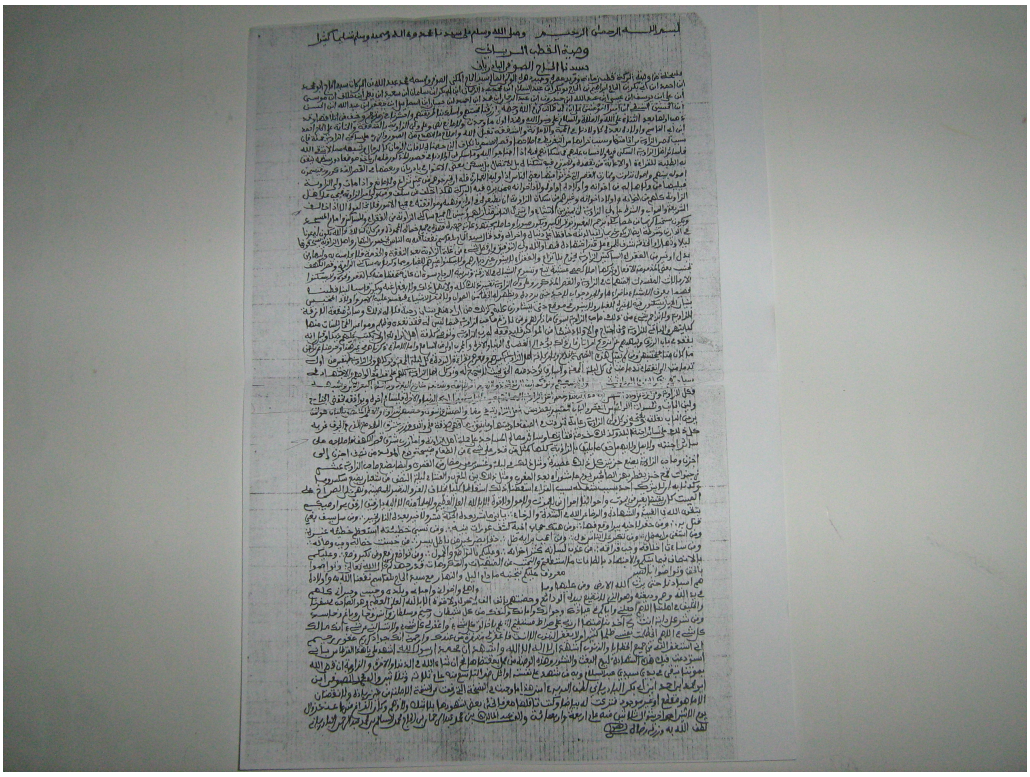

نص وثيقة وقف زاوية بادريان لمؤسسها الشيخ سيدي الحاج محمد الصوفي (1004هـ)

صور لبعض رفوف المخطوطات داخل الزوايا والمدارس الوقفية بإقليم توات

صور لبعض رفوف المخطوطات داخل الزوايا والمدارس الوقفية بإقليم توات

صور لبعض رفوف المخطوطات داخل الزوايا والمدارس الوقفية بإقليم توات